وقفات مع

سورة الفاتحة

الشيخ د. سعيد بن سالم الدرملي
حفظه الله

قام بها فريق التفريغ في
شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@baynoonanet

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية
أن تقدم لكم تفريغا لمحاضرة بعنوان

" وقفات مع سورة الفاتحة"

ألْقاها الشيخ
د. سعيد بن سالم الدرمكي
حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

نَسْأَلُ اللَّهَ – سُبْحَانهُ وَتُعَالَى- أَنْ يَنْفَعَ بِهِ الْجَمِيعُ

قام بها فريق التفريغ
بشبكةُ بِينُونَةِ لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ

حُقوق الطَّبْعِ مَحْفُوظَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد:

فحياكم الله تعالى في هذه الأمسية الطيبة، والرياض اليانعة، والمجالس المباركة، مجالس الذكر والعلم والفقه وهي المجالس التي يُباهي الله بها الملائكة، وحديثنا معكم اليوم وقفات مع "**سورة الفاتحة**".

هذه السورة العظيمة التي تُقرأ في كل ركعة من ركعات الصلاة، والتي جَمَعَتْ مقاصد الدين، واشتملت على مجمل معاني القرآن العظيم.

هذه السورة التي امتن الله تعالى بها على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} [الحجر:87].

يلقيها على مسامعنا فضيلة الشيخ/ **سعيد سالم سعيد**. فليتفضل مشكورًا مأجورا.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

أما بعد:

فأسال الله العظيم رب العرش العظيم، أن يجمعنا بفسيح جناته يوم القيامة كما جمعنا في بيتٍ من بيوته في الدنيا.

كما اسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن إذا أُعطي شكر، وإذا أُبتلي صبر، وإذا أذنب استغفر. فهذه عنوان السعادة للعبد في حياته الدنيا والآخرة.

مما ينبغي أن يعتني به المسلم في هذه الدنيا العناية بكتاب الله عزّ وجل دراسةً وحفظًا وتدبرا، كيف لا؟! وهو كلام رب العالمين، نزَّلهُ بواسطة جبريل عليه السلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فهو المعجزة الخالدة.

ولكن إخواني: نلاحظ هجْرًا لهذا الكتاب من قِبَلِ كثيرًا من الناس، ولو نظرنا في حال المسلمين؛ لوجدنا أن بعضهم يقرأ القرآن أو يفتح المصحف في يوم الجمعة، وبعضهم رُبّما تمادى به الأمر فقرأ القرآن في أول رمضان، وبعضهم اقتصر على سماعه من الأشرطة، وبعضهم خُتم على قلبه؛ فلا يعرف للقرآن طريقة.

ولو سألنا ما هو السبب في مثل هذا الإعراض؟

لوجدنا أنّ من أهم الأسباب هو عدم فهم معاني هذه الكتاب العظيم، لو تأمَّلْتُم حال كثير من الناس في قراءته للصحيفة اليومية، تراه يستمتع وهو يقلب صفحات هذه الجريدة إلى أن ينهيها، تمر عليه النصف ساعة والساعة لا يمل ولا يكل، يقرأ الجريدة الأولى ثم الثانية يقرأ الملحق الاقتصادي ثم الرياضي؛ دون ملل، والسبب: أنَّهُ يفهم المكتوب، ويعقل ما فيه،

أمّا كتاب الله عزّ وجل فاسْتُعْجِمَ على كثير من الناس وصار مجرد حروف صُفَّتْ بعضها إلى بعض، ولا يُفْهم معناها، قد يقول إنسان هذه من المبالغة، نقول: مَنْ منّا لا يحفظ قل هو الله أحد سورة الإخلاص؟ نحفظها من يوم كنا صغارًا، فيأتيك رجل أجنبي لا يفقه العربية؛ فيقول: يا أخي أنت من العرب وتقرأ هذا الكتاب العظيم؟ وهو بلغةٍ عربية.

والله يقول: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ} [الإخلاص:1-2]. ما معنى الله الصمد؟ أنت تقرأ قل هو الله أحد، تقرأ {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [الفلق:1] ما معنى الفلق؟ ما معنى {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}؟

أنت تقرأ {مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ}[الناس:4] ما معنى هذه الكلمة؟ كثيرٌ منّا يقرأها ولا يفقه معناها، ولذلك أعرضوا عن القرآن الكريم.

وقد أنكر الله عزّ وجل على مَنْ لم يتدبر هذا الكتاب؟ فقال: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[محمد:24]. فالقرآن الكريم أُنْزِل؛ لأجل تلاوته وتدبره والعمل به؛ ومما

ينبغي على المسلم أن يهْتمّ به دراسةً وحفظًا وتدبرًا وفهمًا، ما يُكثر من قراءته باستمرار؛ وخصوصًا سورة الفاتحة، وهي موضوع كلامنا في هذه الليلة إن شاء الله تعالى.

هذه السورة كما تفضّل الشيخ هي من أكثر ما يقرأه المسلم في يومه وليله؛ بل لا يحصي عدد ما يقرأه المسلم في حياته إلا الله، فالمسلم يقرأها في كل صلاة مفروضة في اليوم والليلة سبع عشرة مرة، وأنت تقرأ سورة الفاتحة في الصلاة المفروضة، هذا غير النوافل.

ولذلك لا يحصي عدد ما يقرأه المسلم إلا الله سبحانه وتعالى؛ فكان مما ينبغي على المسلم أن يهتم بهذه السورة، وكلامي حول فضائل هذه السورة، وفضائلها عديدة، ومن أهم ما ورد في فضائلها ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

أو ما رواه البخاري –رحمه الله– عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: « كنتُ أُصلِّي في المسجدِ، فدعاني رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فلمْ أُجبْهُ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ، إني كنتُ أُصلِّي، فقالَ : ألم يقلِ اللهُ : { اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } . ثم قال لي : لأُعلِّمنَّكَ سورةً هي أعظمُ السوَرِ في القرآنِ، قبل أن تخرجَ منَ المسجدِ) . ثم أخذ بيديَّ، فلما أراد أن يخرجَ، قلتُ لهُ : ألم تقلْ : لأُعلِّمنَّكَ سورةً هي أعظمُ سورةٍ في القرآنِ . قال : ({ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ } : هي السبعُ المثاني، والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيتُهُ)»[1]

هذا الحديث دل على فوائد جمع منها فضل سورة الفاتحة وأنّها أعظم السور في القرآن الكريم؛ بإخبار النبي صلى الله عليه وسلم.

دلّ هذا الحديث على أنّ المقصود بقوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}[الحجر:87]. أنّ المقصود بها الفاتحة. فقوله: سبعًا. أي: سبع آيات، وهذا بإجماع المسلمين: أنّ الفاتحة سبع آيات.

مثاني: أي تُثنّى وتُعاد وتُكرر في الصلاة؛ فلا تصح الصلاة إلا بها؛ بل تجب قراءتها في كل ركعة

---

[1] صحيح البخاري (4474).

{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}[الحجر:87] ، قال بعض أهل التفسير: لماذا سُميت سورة الفاتحة على الرغم من أنها سورة واحدة بأنّها قرآن عظيم؟

قالوا: لأن سورة الفاتحة احتوت على ما احتوى عليه القرآن جملة، وسورة البقرة إلى سورة الناس تفصيل لسورة الفاتحة، فهي قرآنٌ عظيم.

فلو تَأَمَّلْتُمْ القرآن وموضوعاته، وجدتم في القرآن العقيدة، ووجدتم في القرآن العبادة، ووجدتم في القرآن أخبار الماضين، ووجدتم في القرآن أسماء الله وصفاته، ووجدتم في القرآن الكلام على يوم الآخر، وغير ذلك تجد ذلك في سورة الفاتحة.

أمّا الاعتقاد وألوهية الله عزّ وجلY وربوبيته على خلقه؛ ففي قوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. فلفظ الجلالة "**الله**" معناه ذو الألوهية والعبودية على عباده، فجاء القرآن الكريم مُبَرْهِنًا على هذا الأمر من سورة البقرة إلى سورة الناس.

ربوبية الله وهو أنّ الله عزّ وجل هو الخالق المدبر لهذا الكون بقوله تعالى: {رَبِّ} فالرب هو السيد المالك المدبر.

مسائل الأسماء والصفات، أسماء الله عزّ وجل الحسنى وصفاته العلى ذُكرت في القرآن الكريم بتفصيل أُجملت في سورة الفاتحة في أهم أسماء الله وصفاته، كما يقول ابن القيم: "**والتي ترجع إليها كل الأسماء الحسنى الباقية وهي لفظ الجلالة الله والرب والرحمن الرحيم والمالك**".

ولذلك ابتدئ الله بها القرآن واختتم بها القرآن، ففي سورة الناس: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ} [الناس:1-3]. وأعادها أو بدأها في أول الفاتحة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة:1-4].

فهذه الأسماء الحسنى ترجع إليها جميع أسماء الله الحسنى الباقية بالتضمن والالتزام.

في القرآن الكريم أخبار يوم القيامة ذكرها الله عزّ وجل في سورة الفاتحة في قوله: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، في القرآن الكريم أخبار الأمم السابقة، ذكرها الله في قوله تعالى: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ}[الفاتحة:7].

ومن أراد الزيادة في ذلك فليقرأ مقدمة "**مدارج السالكين** " لابن القيم فقد وضّح فيه هذا الأمر غاية التوضيح، وهو أنّ سورة الفاتحة احتوت على ما احتوى عليه القرآن جملة، فهذا من فضل هذه السورة.

وقد دلّ حديث أبي سعيد المعلى رضي الله عنه على أن الحياة الحقيقة للعبد يوم القيامة، وأنه لا ينالها إلا بالاستجابة لله ولرسوله، كما قال الله عزّ وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}[الأنفال:24].

وهذه الحياة الحقيقة ليست في الدنيا وإنّما في الآخرة، ألم تسمعوا إلى قول الله عزّ وجل، وهو يذكر ندم الكافر: {يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}[الفجر:24] فسمى يوم القيامة الحياة، فهي الحياة الحقيقة، والنجاة في تلكم الحياة، والتمتع بتلكم الحياة، لا يكون إلا بالاستجابة لله ولرسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}.

من فضائل سورة الفاتحة:

ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما جبريلُ قاعدٌ عند النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . سمع نقيضًا من فوقِه . فرفع رأسَه . فقال : هذا بابٌ من السماءِ فُتِحَ اليومَ . لم يفتح قط إلا اليومَ . فنزل منهُ ملكٌ . فقال : هذا ملكٌ نزل إلى الأرضِ . لم ينزل قط إلا اليومَ . فسلَّم وقال : أبشِرْ بنورينِ أوتيتهما لم يؤتهما نبيٌّ قبلك . فاتحةُ الكتابِ وخواتيمُ سورةِ البقرةِ . لن تقرأَ بحرفٍ منهما إلا أُعطيتَه»[1]

هذا الحديث دلّ على فضل سورة الفاتحة من وجوه عدّة:-

أوّل هذه الوجوه: أنْ بشَّر بفضلها ملكٌ لمْ ينزل إلى الأرض من قبل، وإنّما نزل لأجل هذه البشارة. ونزل من بابْ من السماء لم يفتح من قبل إلا لأجل هذه البشارة.

ثانيًا: قوله للنبي صلى الله عليه وسلم: «أبشر بنورين». فسمّاها نورًا. والنور هو ضد الظلمة، والإنسان أحوج ما يحتاج إلى النور وهو في الظلمة، والظلمات كثيرة والنور واحد.

---

[1] صحيح مسلم (806).

{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [البقرة:257]. من الظلمات ظلمات الضلال في الدنيا، نور الفاتحة تُنَجّيك منها.

وقد قال الله في الحديث القدسي: « يا عبادي ! كلكم ضالٌّ إلا من هديتُه . فاستهدوني أَهْدِكم »[1]. وسورة الفاتحة فيها: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة:6].

فهي نورٌ للعبد في حياتهِ الدنيا، من الظلمات التي ستخشى العبد ظلمة القبر، ولا يُنَجّيهِ منها إلا العمل الصالح وهذا العمل متضمن في سورة الفاتحة في قوله: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}.

والمنْعَم عليهم هم الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقًا.

كذلك ظلمة الصراط ولا ينجو منها المسلم إلا بالعمل الصالح فهي نور، هذا الوجه الثاني من أوجه فضيلة سورة الفاتحة مما دل عليه هذا الحديث.

كذلك من فضائل هذه السورة التي وردت في هذا الحديث قوله: « أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك »، فهذا يدل على أن سورة الفاتحة من خصائص أمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم.

وفي ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما أنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ في التَّوراةِ ولا في الإنجيلِ مثلَ أمِّ القرآنِ ، وَهيَ السَّبعُ المثاني »[2]. فهذا من فضائل هذه السورة.

من فضائل هذه السورة أنّ من قرأها متدبرًا لمن عناها واعيًا لما احتوته أُعْطِي ما فيها، وهنا يقول أهل العلم: لابد أن يَتَفَطَّنْ المسلم إلى أن سورة الفاتحة دعاء، وهي اهدنا الصراط المستقيم هذا الدعاء، سورة الفاتحة كلها لأجل هذا الدعاء، ما قبلها {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} هذا ثناء على الله.

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} توسل إلى الله عزّ وجل بالإيمان والتوحيد وبضعف العبد أمام الله، ثم يأتي الطلب: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} هذا طلبك، وما بعده بيان لهذا

---

[1] صحيح مسلم (2577).

[2] صحيح النسائي (913).

الطلب، كأنّ قائلًا يقول: ما هذا الصراط؟ فيقول: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ}، أي: لا أريد صراط المغضوب عليه وهم اليهود ولا الضالين وهم النصارى. فهو دعاء، ولذلك يقول المأمومون: آمين؛ أي: اللهم استجب.

أواخر سورة البقرة دعاء: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[البقرة:286].

يقول الله عزّ وجل: {رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} هذا واحد دعاء، {رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} هذا الثاني.

{رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}. سبع أدعية في هذه الآية.

فيقول الملك: لم تقرأ بحرف منها إلا أوتيتها أي: أعطيتها. فهذه من فضائل هذه السورة.

كذلك من فضائل سورة الفاتحة أنّ سورة الفاتحة مناجاة، ما بين العبد وربه. روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عزّ وجل: وهذا هو الحديث القدسي « قسمتُ الصَّلاةَ بيني وبينَ عبدي نصفينِ ، ولعبدي ما سألَ ، فإذا قالَ العبدُ : { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } ، قالَ اللهُ تعالى : حمدني عبدي . وإذا قالَ : { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } . قالَ اللهُ تعالى : أثنى عليَّ عبدي . وإذا قالَ { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } . قالَ : مجَّدني عبدي (وقالَ مرَّةً: فوَّضَ إليَّ عبدي) فإذا قالَ : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } . قالَ : هذا بيني وبينَ عبدي ولعبدي ما سألَ ».

أين السؤال في هذه الآية؟ السؤال في طلب الاستعانة: إياك نعبد: أي: نعبدك وحدك ونطلب الإعانة منك؛ لأجل عبادتك.

« فإذا قالَ : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } . قالَ : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل »[1].

[1] صحيح مسلم (395).

وهذا من أعظم فضائل هذه السورة: أن يُجيبك رب العالمين سبحانه وتعالى، ويناديك وأنت تقرأ هذه السورة.

كذلك أو نقول: من الأدب في قراءة هذه السورة أن تُقرأ بتُؤَدَة وبترسُّلْ دون إسراعٍ فيها؛ حتى يحصل هذا التدبر وتحصل على فضيلة هذه المناجاة. وأم سلمة –رضي الله عنها– تذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ الفاتحة آية آية مترسلًا.

بعض الناس إذا قرأ الفاتحة في صلاته ما يذكر منها ولا حرف إلا وهو يقول: آمين؛ لأنه مشغول بأمور أخرى، أول ما يبدأ من بسم الله الرحمن الرحيم، ما ينتبه إلا وهو يقول: آمين، والباقي قد ضاع في أثناء القراءة.

هذا ما يحصل على ما فيها من الأجر، وما فيها من التدبر ولا يحصل له الخشوع في الصلاة، إذا أنت تتأمل وتتدبر أنّك تناجي رب العالمين؛ فهذا أدعى لحضور قلبك بين يد الله سبحانه وتعالى.

كذلك من فضائل هذه السورة: ما رواه الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: « انطلق نفرٌ من أصحابِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في سَفْرَةٍ سافروها ، حتى نزلوا على حيٍّ من أحياءِ العربِ ، فاستضافوهم » أي: طلبوا منهم الضيافة لكونهم مسافرين ويحتاجون للراحة « فأَبَوْا أن يُضَيِّفُوهم » فبطبيعة الحال جلس هؤلاء الصحابة في ناحيةٍ من هذا الحي، يستريحوا من عناء السفر، يقول الراوي: « فلُدِغَ سيدُ ذلك الحيِّ » لدغته العقرب « فسَعَوا لهُ بكلِّ شيءٍ لا ينفعُهُ شيءٌ ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاءِ الرهطِ الذين نزلوا ، لعلَّهُ أن يكون عند بعضهم شيءٌ ، فأَتَوْهُمْ فقالوا : يا أيها الرهطُ ، إنَّ سيدنا لُدِغَ ، وسَعَيْنَا لهُ بكلِّ شيءٍ لا ينفعُهُ ، فهل عند أحدٍ منكم من شيءٍ ؟ فقال بعضهم : نعم ، واللهِ إني لأَرْقِي ، ولكن واللهِ لقد استضفناكم فلم تُضَيِّفُونا ، فما أنا براقٍ لكم حتى تَجعلوا لنا جَعْلًا » لن أقرأ عليه ولن أداويه حتى تعطونا عطاءً– لأنكم إن أحسنتم إلينا أحسنا إليكم. {هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ} [الرحمن:60]. فمادام أنكم لم تحسنوا إلينا لن نحسن إليكم.

فإذا أردتم أن أقرأ عليه وأن أرقيه؛ فاجعلوا لنا عطاءً « فصالحوهم على قطيعٍ من الغنمِ ، فانطلق يَتْفُلُ عليهِ » والتفل هو الهواء الخارج من الفم مع الريق « ويقرأُ : { الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } . فكأنَّما نشطَ من عِقَالٍ فانطلق يمشي وما بهِ قَلَبَةٌ » العقال هو ما تُربط به قدم الدابة حتى لا تسرع في المشي؛ كالإبل تربط بها القدم حتى لا تسرع. فإذا فُكَّ هذا الرباط شعرت الدابة بنشاط فأسرعت؛ فاستخدم هنا لبيان العافية التي حصل عليها هذا السيد؛ بمجرد القراءة « قال : فأوفوهم جَعْلَهُمْ الذي صالحوهم عليهِ ، فقال بعضهم : اقْسموا ، فقال الذي رَقَى : لا تفعلوا حتى نأتيَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فنذكرُ لهُ الذي كان ، فننظرُ ما يأمرنا ، فقَدِموا على رسولِ اللهِ فذكروا لهُ ، فقال : (وما يُدْرِيكَ أنَّها رقيةٌ) . ثم قال : (قد أصبتم ، اقْسموا ، واضربوا لي معكم سهمًا) . فضحك رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ »[1].

تأمّلوا معي في أحوال الدنيا، لو عندنا رجل لُدغ بعقرب، وذهب إلى المستشفى وأُعطي المضادات الحيوية والأدوية؛ كم يحتاج من الوقت لكي يشعر بالعافية؟ ما أقل عن نص ساعة إلى أن يتحسن ويذهب عنه الألم، وربما استمر معه الأدوية لمدة يومين وثلاثة وأربعة؛ حتى يشعر بالعافية وربّما اضطروا إلى تنويمه في المستشفى، فانظر إلى هذا العلاج الربّاني؛ بمجرد أن قرأ عليه الفاتحة – وفي بعض الروايات سبع مرات– قال: كأنما نُشط من عقال، قام نشطًا وذهب الذي كان يجد. وهذا فيه فضيلة سورة الفاتحة، وأنها علاجٌ من الأمراض الحِسِّيَّة.

بل قد تكررت هذه القصة في حادثة أخرى في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، فروى الإمام أبو داود في سننه عن خارجة بن الصلت التميمي عن عمه قال: « أنه أتى رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، ثم أقبل راجعا من عنده ، فمر على قوم عندهم رجل مجنون موثق بَالحديد » هذا الرجل فيه جنون، والجنون مرض، ومن شدة جنونه أنْ وُثِّقَتْ يده ورجله بالسلاسل ما يستطيعوا السيطرة عليه « فقال أهله : إنا حدثنا أن صاحبكم هذا ، قد جاء بخير ، فهل عندك شيء تداويه ؟ فرقيته بفاتحة الكتاب ، فبرأ ، فأعطوني مائة شاة ،

[1] صحيح البخاري (2276).

فأتيت رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته ، فقال : هل إلا هذا . وقال مسدد في موضع آخر : هل قلت غير هذا ؟ قلت : لا ! قال : خذها ، فلعمري لمن أكل برقية بَاطل ، لقد أكلت برقية حق »[1].

وفي القصة الماضية؛ قصة أبي سعيد الخدري « فقال بعضهم : اقْسموا ، فقال الذي رَقَى : لا تفعلوا حتى نأتيَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فنذكرُ لهُ الذي كان ، فننظرُ ما يأمرنا ، فقَدِموا على رسولِ اللهِ فذكروا لهُ ، فقال : (وما يُدْرِيكَ أنَّها رقيةٌ) . ثم قال : (قد أصبتم ، اقْسموا ، واضربوا لي معكم سهمًا) . فضحك رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ »[2].

وفي هذين الحديثين دلالة على فضل سورة الفاتحة؛ وأنّ فيها شفاءً من الأمراض الحِسِّيَّة التي تصيب العبد، كذلك فيها أنّ على المسلم أن يبادر بالرجوع إلى الله ورسوله؛ لمعرفة حكم المسألة التي لا يعرف حكمها، فنجد أنّ الصحابة في القصة الأولى رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه عن حكم تقسيم هذه الأُعْطِيَة التي حصلوا عليها.

وفي القصة الثانية بعد أن أخذ مائة رأس من الغنم، رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليأخذ حكمه في المسألة، وهذا من تمام التسليم والانقياد لأمر الله ورسوله.

فعلى المسلم ألا يَقْدِمَ على أمر من الأمور؛ حتى يعرف الحكم الشرعي، والأحكام الشرعية بالنسبة للمسلمين منها ما هو حلالٌ بيّنٌ واضح فهذا يُقدم عليه، ومنها ما هو حرام واضح بيّنٌ فهذا يمتنع عنه، ومنها ما هو مُشْتَبِه، لا يعرف حكمه وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمَنْ أستبرأ لدينه، فمَنْ تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فيها وقع في الحرام. هؤلاء الصحابة رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلك لمعرفة حكم ما هم فيه.

كذلك سورة الفاتحة ونختم به فيها علاج للأمراض المعنوية المتعلقة بالقلب والأمراض القلبية أعظم من الأمراض الحِسِّيَّة؛ لأن القلب ملك الأعضاء كما قال النبي صلى الله عليه

---

[1] سنن أبي داوود (3896).

[2] صحيح البخاري (2276).

وسلم: « ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإذَا فَسَدَتْ ، فسدَ الجَسدُ كُلُّهُ . ألا وهِيَ القَلبُ »[1]. فصلاحه صلاح لظاهر البدن، وفساده فساد لظاهر البدن.

ومن الأمراض الخطيرة التي تصيب القلب: **الرياء**.

والرياء هو أن يفعل العبد مما يُتقرب به إلى الله؛ يَبْتَغي ذكر الناس، وهو الشرك الخفي وهو الشرك الأصغر الذي حذر منه نبينا صلى الله عليه وسلم، وهو محبط للعمل.

كما « قال اللهُ تباركَ وتعالَى : أنا أغنَى الشركاءِ عن الشركِ . مَن عمِل عملًا أشرك فيه معِي غيرِي ، تركتُه وشركَه »[2]. وسورة الفاتحة فيها علاجٌ لهذا المرض، في قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، أي: أُفْرِدُك وحدك يا الله بالعبادة، وهذا عند أهل البلاغة يقولون: تقديم ما حقّه التأخير يفيد الحصر، وهنا حصل تقديم لما حقه التأخير، إياك نعبد، أي: نعبدك وحدك لا شريك لك، فمن قرأ هذه الآية وفقه معناها، ثم عمل بها نجا من الرياء؛ كما قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام:162].

من الأمراض التي تصيب القلب: **الكبر والاستعلاء**.

والكبر يَصُدُّ المرْءَ عن قبول الحق والانصياع له، ما الذي حمل إبليس على عدم الانصياع لأمر الله عزّ وجل بالسجود لآدم إلّا الكبر والحسد، فالكبر يصد عن إتباع الحق.

في سورة الفاتحة علاجٌ لهذا المرض في قوله تعالى: { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.

حقيقة الاستعانة تُظهر ضعفك أنّك ضعيف، ولذلك طلبت العون من القوي وهو الله سبحانه وتعالى؛ فتعرف حقيقة نفسك وأنّك لا تستطيع أن تفعل شيئًا في هذه الدنيا إلا بالعون من الله سبحانه وتعالى.

---

[1] صحيح مسلم (1599).

[2] صحيح مسلم (2985).

وفي قول الله { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} تحقيق لمعنى: "**لا حول ولا قوة إلا بالله**" التي هي كنز من كنوز الجنة، "**لا حول ولا قوة إلا بالله**" كثيرٌ من الناس يقولُهُ ولا يعلم معناه. ومعناها: لا تَحَوُّلَ لي ولا قوة لي على الانتقال من حال إلى حال إلا بالله سبحانه وتعالى.

فلا يتحول العبد من ضعف إلى قوة ولا يتحول العبد من مرض إلى صحة إلا بالله سبحانه وتعالى، فإذا استشعر العبد ذلك عرف مقدار نفسه وضعفه، وأنّ العبد محتاج لعون الله في جميع حياته إلى أن يدخل الجنة.

كذلك في هذه السورة علاج لمرض **الجهل**، الذي هو أعظ الأدواء، أعظم الأمراض الجهل، وذلك في قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، فطلبك للهداية من الله اعترافٌ منك بجهلك، فإذا سعيت إلى تحقيق هذه الهداية، سعيت إلى العلم، لأنّ الهداية لا تحصل بالأماني، وإنّما تحصل بالسعي والعمل والعلم، وهي الطريق الموصلة إلى الجنة.

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في العلم: « من سلكَ طريقًا يلتمسُ فيه علمًا ، سهَّل اللهُ له به طريقًا إلى الجنةِ »[1].

إذًا إخواني لا أطيل عليكم: سورة الفاتحة فيها أمورٌ عظيمة جدًا؛ لأنها هي القرآن العظيم، وإن تيسّر لي في محاضرات قادمة أن أتكلّم على هدايات من سورة الفاتحة وعلى تفسيرٍ موجَزٍ لسورة الفاتحة؛ حتى نستفيد من فضلها ونعمل بما فيها.

لكن على المسلم عمومًا أن لا يُهْمِلَ تدبر كلام الله؛ وخصوصًا ما يقرأه باستمرار في صلاته؛ فاجعل لك تفسيرًا يسيرًا تقرأ فيه كتفسير/ **الجلالين**، وتفسير الشيخ/ "**عبد الرحمن بن ناصر السعدي**"، وتفسير/ "**ابن كثير**" وله مختصرات كثيرة.

فيقرأ المسلم في تفسير "**جزء عمّ**"، وتفسير "**جزء تبارك**" الذي تكثر قراءته، وهذا أدعى للخشوع في الصلاة ولتدبر كلام الله عزّ وجل، هذا وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يوفقني وإيّاكم لكل خير وأن يعلمنا ما جهلنا أنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

[1] صحيح مسلم (2699).

للاستماع إلى المحاضرة يرجى زيارة الرابط

http://www.baynoona.net/ar/audio/4563

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

سُجلت : 2015 /08/28
فُرغت : 2017/11 /22

تمت بحمد الله

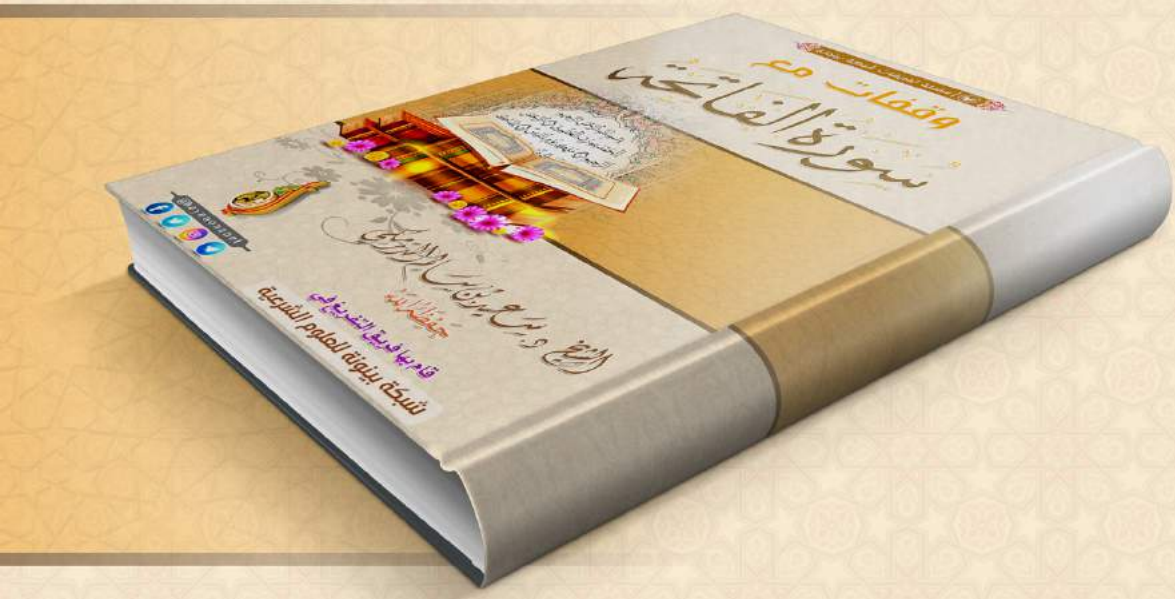

www.baynoona.net

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

نعتني بنقل العلم الشرعي في دولة

الإمارات العربية المتحدة